

المنهج التحليلى النقدى
ودراسة القضايا التربوية فى مجتمع المعرفة

ورقة بحثية مقدمة من

أ.د / مجدى عزيز إبراهيم

الناشر

المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

جمهورية مصر العربية إبريل ٢٠٠١

ملخص البحث

المنهج التحليلي النقدي

ودراسة القضايا التربوية في مجتمع المعرفة

إعداد

أ.د / مجدى عزيز إبراهيم^(*)

فى إحدى الدراسات التى قام بها (وليم عبيد) ، طلب من الباحثين ، الخروج من جلاب (بلوم). وهنا ، أطلب من الباحثين فى مجال المناهج وطرق التدريس ، الخروج من تحت عباءة المنهج التجريبي ، والمنهج الوصفي ، إذ فى كنفهما ، ظهرت بحوث مكررة ، ليس فيها جديد. وأحد السبل ، لتحقيق ذلك ، هو المنهج التحليلي النقدي ، الذى على أساسه ، يمكن دراسة القضايا العريضة ، والحصول على النتائج العميقة.

وبعامة ، إذا كنا اقترحنا المنهج التحليلي النقدي ، فهذا ليس بفرض عين ، وإنما هو مجرد اقتراح ، يعكس تصوراً ، يبرز أهمية استخدام أساليب بحثية جديدة ، غير مألوفة ، أياً كانت هويتها ، غير الأسلوبين الشائعين الآن فى دراسات وبحوث الماجستير والدكتوراه ، وخاصة إن هذا الأسلوب مهم وفعال فى دراسة القضايا التربوية فى مجتمع المعرفة.

^(*) أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات : كلية التربية بدمياط - جامعة المنصورة

المنهج التحليلى النقدى ودراسة القضايا التربوية فى مجتمع المعرفة

إعداد

أ. د / مجدى عزيز إبراهيم (*)

تمهيد :

فى عصر المعلوماتية ، حيث تتدفق المعلومات بغزارة هائلة ، وحيث تظهر ظاهرات علمية جديدة ، غير مسبوقة من قبل ، وحيث يأفل نجم وسطوع نظريات بعينها ، لتقدمها وعدم مناسبتها لمستحدثات العصر ، وحيث تظهر نظريات حديثة لتحل محل النظريات القديمة ، وحيث .. وحيث .. إلخ ، يكون من المهم والواجب أن يواكب البحث العلمى التربوى ، ظروف هذا العصر ، وذلك من خلال إتباع مناهج البحث التربوى ، التى تستطيع التعرف على القضايا التربوية الحيوية ، التى تؤثر تأثيراً مباشراً على جميع جوانب العملية التعليمية.

إذا ، القضية برمتها تتمثل فى التحديد الدقيق للقضايا التربوية الملحة ، ثم دراستها من خلال أسلوب بحثى مناسب.

ولكن مشكلات الميدان معروفة جيداً ، لذا فإن المطلوب ، يتمثل فى دراستها وفق أساليب علمية تربوية سليمة.

(*) أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات : كلية التربية بنمياط - جامعة المنصورة

وعليه ، تتمركز هذه الورقة البحثية ، حول أساليب البحث المتبعة في دراسة القضايا التربوية في عصر المعلوماتية ، وذلك من خلال التعرض للموضوعات التالية :

- موقع المنهج التحليلي النقدي على خريطة البحوث التربوية.
- اعتراضان متوقعان على المنهج التحليلي النقدي ، والرد عليهما.
- المنهج التحليلي النقدي في عصر المعلوماتية.

وفيما يلي توضيح للموضوعات الثلاثة السابقة.

موقع المنهج التحليلي النقدي على خريطة البحوث التربوية :

من خلال خبرة ، تزيد عن ثلاثين عاماً ، في مجال الدراسات التربوية ، كطالب يسعى جاهداً للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، وكعضو هيئة تدريس يحاول من خلال عمله البحثي الترقية لدرجة أستاذ مساعد وأستاذ ، وأخيراً كمسئول عن الإشراف أو الحكم على الرسائل والدراسات العلمية التربوية ، أزعج أن المنهج التحليلي النقدي ، ليس له موقع على خريطة البحوث التربوية ، إذ من خلال التعامل مع مئات البحوث والدراسات في مجالات متعددة، لم يكن لهذا الأسلوب البحثي ، وجود فعلى حقيقى.

ويؤكد ما تقدم خبرة الكاتب الشخصية ، والتي تمثلت في الدراسات الأربعة

التالية :

- ١- دراسة تحليلية نقدية لتعريفات المنهج التربوي.
- ٢- دراسة تحليلية نقدية لمفهوم المنهج الخفى.
- ٣- دراسة تحليلية نقدية للأبعاد التي يجب مراعاتها في تحديد محتوى المنهج.

٤- التوافق بين مفاهيم الحدود عند (كلود رافستان) ومفهوم المنهج التربوى. وقد تم تقييم الدراسات السابقة ، على أساس أنها " جهد مشكور " ، أو أنها " دراسة نظرية جيدة " .

والسؤال :

لماذا لم يتم تقييم الدراسات السابقة ، وفق المعيار المتبع أو المعمول به فى تقييم البحوث التربوية ، سواء أكان كمياً أم رقمياً؟!

فى ظل الشائع والمتعارف عليه بالنسبة للدراسات والبحوث التربوية ، والذى يتمثل فى سيطرة المنهج التجريبي والمنهج الوصفى (بأدواته المختلفة) ، فإننى أعتقد أن نسبة كبيرة من التربويين تنظر إلى الدراسات والبحوث التى تتبع المنهج التحليلى النقدى ، على أنها مجرد مقالة نظرية ، لا ترقى أبداً إلى مستوى البحوث العلمية ، وأحياناً يشككون فى جدواها وقيمة نتائجها.

وبالنسبة للذين يشككون فى نفع وجدوى الدراسات والبحوث التى تتبع المنهج التحليلى النقدى ، فهم معذورون فى ذلك ، على أساس أن التربية تعبر عن وجهات نظر ، يستطيع أصحابها باستخدام قليل من المنطقية العقلانية ، وكثير من فهم طبيعة الفرد ، من حيث كونه إنساناً - له هويته وكيونته وحاجاته وميوله واستعداداته واهتماماته وتوجهاته واتجاهاته .. إلخ ، وهى تختلف من فرد لآخر - تحقيق مآربهم ، وإيجاد تأييد قطاع عريض من الناس ، سواء أكانوا من التربويين أم غير التربويين ، وبذا تعمم أفكارهم ، وتظهر كمنظريات أو مدارس تربوية جديدة.

وقد يفهم البعض الحديث السابق ، بأنه تشكيك فيما تحقق من إنجازات تربوية ، وخاصة أنه فى ثنايا الحديث وردت عبارة عن : " قليل من المنطقية العقلانية " .

وبعامّة ، إذا فهم أحد ما تقدم ، على أنه تشكيك ، فمرد ذلك ، عدم فهمه أساساً لعبارة "قليل من المنطقية العقلانية" ، رغم أن الحقيقة تشير إلى عدم وجود المنطقية التامة والخالصة ، وذلك ما أكدته نظرية (أينشتين) في النسبية ، وما حققته أخيراً نظرية الفوضى (الشواش).

أضف إلى هذا ، أن المنطقية العقلانية المطلقة ، من شأن الله فقط ، إذ يقول للشيء كن فيكون. أما اجتهادات الإنسان ، فقد يعدلها أو يبدلها بنفسه ، أو قد يقوم بهذا العمل آخرون نيابة عنه ، عندما يرون أن الضرورة والمتطلبات تحتم ذلك الأمر.

أما بالنسبة للتقليل من شأن قيمة المنهج التحليلي النقدي ، فذلك يعود - أحياناً - إلى عدم فهم طبيعة هذا المنهج من قبل الباحثين أنفسهم ، فلا يستطيعون إقناع الآخر بقيمة وأهمية أعمالهم ، فتظهر كما لو كانت مقالة ، تحتوي على مجموعة من العبارات المرصوفة. أيضاً ، قد يفشل الباحثون في الربط بين ما يقومون بتحليله ونقده ، وبذا يكون من الصعب بمكانة تحقيق علاقة رياضية أو منطقية دالة لما يقومون به ، وتظهر أبحاثهم كما لو كانت مجموعة بليغة من الكلمات المنمقة.

ما تقدم ، يخالف تماماً المنطق العاقل ، إذ إن البحوث النظرية ، هي التي تبحث في العلم نفسه ، من حيث هويته وكيهونه وطبيعته ، لذا تحتل مكانة أسمى من البحوث التي تدور حول الفلسفة في العلم ، كما أن أعظم الجامعات ، وليس جميع الجامعات ، هي التي تمنح درجة الدكتوراه في طبيعة العلم نفسه ، مثل : درجة الدكتوراه في القانون (وليس دكتوراه الفلسفة في القانون).

تأسيساً على ما تقدم ، كان من المتوقع أن يحتل المنهج التحليلي النقدي ، مكانة بارزة بين مناهج البحث العلمي التربوي ، ولكن ذلك لا يتحقق.

ومن ناحىة أفرى ، قد يقال أن المنهء الففلىى النقدى ، تفبفق ءذوره من الفلسفة ، هفث كان الفلاسفة قديماً لديهم الوقت الكافى للفلسف ، وذلك لا يمكن ففقفه فى هذا الزمان ، الذى ءعل الناس يلهفون كل يوم ، بل كل ساعة ، وراء مسفءفءاف العصر .

والرد على ما فقدم ، يأخذ المنهءىىن الفالبىن :

الفلسفة فى حد ذاتها مهمة للإنسان قديماً وءفءياً. فى العصور الغابرة ، كانت السبب المباشر لإنبفاق وظهور العفء من العلوم ، البهءة والإنسانىة على السواء. أما فى زماننا هذا ، مازالف للفلسفة قىمة كبرى ، إذ بفونها ، يصبء الإنسان مءرد فرس فى آلة ، كما أنها فعطى للإنسان المعنى الفقفى لوفوءه ، ناهىك أن العلم نفسه - ولىس الإنسان فقط - له فلسفة.^(٥)

إذا كان الإنسان القءىم وءد مفسعاً من الوقت للفلسف ، فالإنسان ءءفء ، فى ظل قسوة الهىة وصعبوفها ، فءب أن فءذو ءذو سلفه ، لىسففب إءراك طبىعة الأفءاف من ءوله. وبالفب ، ففطلب هذا الإءراك ، ففلفلاً لها ، ثم نقءها ، بشرط ألا يقف الأمر عنء هذه الءءوء ، وإنما فءب الاسفءافة من الففائف الفى ففم الفوصل إليها ، لإءراك المزفء والمزفء من الأفءاف ءءفءة بالنسبة للفرد ، أو الأفءاف المففوق ءءوفها فى المسفقبل القرفب.^(٦)

ومما فؤكء أهمية المنهء الففلىى النقدى ، وفوء فمائل كبرى بفنه وبفن منهء ففلفب النظم ، وهو المنهء الذى عن فرقه ، يمكن ففلفب مءءلاف ومءرفاف المنظومات المءفلفة ، الفى فكون النظام الأشمل ، وذلك بهءف مءى الاتساق بفنها.^(٧)

ويظهر التماثل الذي سبق التتويه إليه ، في أن عملية التحليل في المنهج التحليلي النقدي تقابل عملية إدخال البيانات لإجراء العمليات عليها في منهج تحليلي النظم. أيضاً ، فإن عملية النقد في المنهج التحليلي النقدي تقابل عملية المخرجات في منهج تحليلي النظم ، من خلال العمليات التي تتم على المدخلات.

وهنا ، قد يقول قائل أن المخرجات في منهج تحليل النظم محددة تماماً ، وبقية للغاية ، بحيث يمكن على أساسها الحكم بنجاح أو فشل العملية موضوع الدراسة ، بينما النقد في المنهج التحليلي النقدي ، لا يتسم بهذه السمة ، من حيث الثبات والمصدقية.

هذا غير صحيح بدرجة كبيرة ، فالمخرجات في منهج تحليل النظم ، تعتمد بدورها على المدخلات ، فإذا كانت المدخلات غير دقيقة ، وغير صحيحة ، من البداية ، فالمخرجات - بالتأكيد - سوف تكون كذلك . (٨)

ولكن عملية التحليل ، التي يتم إتباعها في المنهج التحليلي النقدي ، وهي تمثل نقطة البداية ، يمكن عن طريقها عمل فلتر للمعلومات ، التي يتم نقدها ، وبالتالي تتحقق النتائج بدرجة كبيرة من الموثوقية والمصدقية.

ناهيك عن أن عملية التحليل ، ليست مجرد عملية نمطية آلية ، وإنما هي عملية ذكية ، تتطلب تشغيل أقصى ما يملكه العقل الإنساني من آليات تفكيرية: عقلية ووجدانية.

اعتراضان متوقعان على المنهج التحليلي النقدي ، والرد عليهما :

من المتوقع أن يذهب بعض الباحثين إلى نهاية الطريق بالنسبة لعدم قبول المنهج التحليلي النقدي ، فيظهر الاعتراض الأول ، الذي مفاده : " إن هذا المنهج لا يستطيع تحمل مسؤولية إجراء دراسة علمية جادة على مستوى درجة الماجستير أو الدكتوراة

، حيث تتطلب كل منها متطلبات عديدة ومتنوعة ، وحيث تفرض شروطاً إجرائية أو ميدانية ، لا تتحقق من خلال المنهج التحليلى النقدى. أيضاً ، قد يقول بعضهم أن أقصى طموح لهذا المنهج ، استخدامه فى الأوراق البحثية ، التى تنشر فى المجالات أو المؤتمرات العلمية ."

قبل التعرض للرد على الاعتراض السابق ، ننوه إلى حقيقة مهمة للغاية ، وهى أن الأوراق البحثية الجيدة ، التى تنشر فى الدوريات أو المؤتمرات العلمية ، رغم قلة عدد صفحاتها، فإنها تعكس فكراً خالصاً يعكس بدوره خبرة عشرات السنين ، وبالتالي فإن قيمتها لا تقل أبداً ، عن قيمة البحوث على درجتى : الماجستير والدكتوراة ، وربما تزيد. ناهيك ، عن ١١ : ٤٠ ص أن القدرة على تلخيص الفرد لأفكاره ، التى تتمركز حول موضوع بحثى مهم وجاد ، تعكس إمكانات عقلية ولغوية ، رفيعة المستوى.

أما الرد على الاعتراض السابق ، فيتمثل فى الآتى :

دعنا نأخذ الفرض الساذج ، الذى يقوم على أساس أن الفقر يؤدي إلى الجريمة. ونبدأ البحث فى ظروف وأحوال الفقراء ، ممن ارتكبوا جرائم بعينها (سرقة - تهديد بالسلاح - اغتصاب - قتل - ... إلخ).

وفى ضوء تحليل جرائم هؤلاء الفقراء ، يمكن تصنيفها ، فى نوعيات ، من حيث حدتها وكثافتها. إذا اكتفينا بذلك الأمر ، فذلك بالفعل لا يكفى لقيام دراسة كاملة عن أسباب الجريمة ، لأننا اكتفينا بعامل واحد ، قد يكون من أسباب الجريمة ، وقد لا يكون ، إذ إن هناك قطاع عريض من الناس ، ممن يعيشون اقتصادياً تحت خط الصفر ، ورغم ذلك ، فإنهم لا يفكرون أصلاً فى ارتكاب الجريمة.

ويجدر الإشارة إلى المنهج التحليلى النقدى ، يرفض أصلاً قبول الفروض الساذجة ، لأن من خلال نقطة البداية ، وأعنى بها التحليل ، يتم التأكيد على الفروض الرصينة فقط.

فى الحالة السابقة ، سوف يتم طرح السؤال المهم : **هل الفقر وحده ، هو الذى يؤدى إلى الجريمة ؟**

وبطرح هذا السؤال ، يظهر العديد من العوامل التى قد تؤدى إلى هذا العمل المشين ، إذ إن النتائج قد تظهر أن بعض الأغنياء ، أو بعض ذوى المراكز الاجتماعية المهمة ، أو بعض المثقفين ، أو بعض المتعلمين - وغالبيتهم قد يكونوا من غير الفقراء - يرتكبون جرائم بعينها. ونتيجة لهذا التحليل ، يتم طرح سؤال آخر ، لا يقل أهمية عن السؤال السابق ، وهو : **لماذا يسرق الفرد غير المحتاج ؟** ، وهذا يقودنا إلى سؤال آخر .. وآخر.. وهلما جراً.^(١)

لقد بدأنا بسؤال ساذج ، ووجدنا إنه باستخدام المنهج التحليلى النقدى ، يمكن أن يكون تحت أيدينا شبكة واسعة جداً من المعلومات ، لو يتم استخدامها بذكاء ، يمكن فى ضوئها إنجاز عشرات الرسائل العلمية ، على مستوى الماجستير والدكتوراة ، وليس رسالة واحدة فقط.

أيضاً ، مما يؤكد عدم جدوى الاعتراض السابق ، أن مقاصد وأغراض المنهج التحليلى النقدى ، تحقق مقاصد المنهج التجريبي ، والمنهج الوصفى ، مجتمعين معاً. وللتدليل على صحة ذلك ، نقول :

يقوم المنهج التجريبي على أساس وجود عوامل مستقلة وأخرى تابعة ، بشرط تحييد العوامل الأخرى (أى ضمان وجود العوامل الضابطة بصورة متكافئة) ، وفى ضوء دراسة العلاقة بين العوامل المستقلة والتابعة، يتم استنتاج نتائج بعينها. وقد

تتطلب دقة التجريب ، إجراءات يتم تنفيذها ، وفق أصول المنهج الوصفى (عمل مقابلات ، تطبيق استبيانات ، .. إلخ).

إن ما تقدم ، يتوافق مع طبيعة المنهج التحليلى النقدى ، إذ من خلال عملية التحليل ، يتم حذف بعض العوامل ، أو تحييدها ، أو البحث عن دلالاتها ، أو معرفة المزيد عن كينونتها ، .. إلخ ، ومن خلال عملية النقد، يمكن إصدار أحكام فى ضوء ما تم تحليله ، وذلك يتفق مع تأثير العوامل المستقلة على العوامل التابعة فى المنهج التجريبى ، وإن كانت نتائج عملية النقد تعطى نتائج إيجابية على طول الخط ، لأن التحليل يقوم دائماً على أسس موضوعية، بينما التجريب فى المنهج التجريبى ، لا يعطى بالضرورة ، وفى جميع الأحوال ، نتائج إيجابية، مهما بذل الباحث من جهد ، فى ضبط المتغيرات.

أما الإعتراض الثانى ، فيقوم على أساس صعوبة تطبيق المنهج التحليلى النقدى نفسه ، على مشكلات عصر المعلومات ، وخاصة تلك المرتبطة بالمعرفة للتنمية. وقد يستند هذا الاعتراض على تقرير التنمية الصادر من البنك الدولى (WDR) عام ١٩٩٨ ، حيث كانت الكلمات الافتتاحية لهذا التقرير ، هى : (المعرفة مثل الضوء) ، نعم هى كالضوء ، ولكن يمكن أن يساء تفسيرها ، وتحرف ويتلاعب بها ، وتشوه ، ويتم استغلالها والسيطرة عليها ، فالمعرفة دائماً ناقصة وغير كاملة". (١٠)

تأسيساً على تلك الكلمات السابقة ، قد يعتقد المعارضون إن الحكم بأن المعرفة ناقصة وغير كاملة ، لن يتحقق بدون إستخدام أساليب بحثية مناسبة ، وفى تحديدهم لهذه الأساليب ، غالباً يستبعدون المنهج التحليلى النقدى ، لعدم إمكانية إستخدام هذا المنهج فى التحقق ما إذا كانت المعرفة كاملة ، أم غير كاملة ، وفى وضع حدود فاصلة بين المعرفة والمعلومات.

والرد على الاعتراض الثانى :

يتمثل فى أن ما يسوقه المعارضون ، لهو خير دليل ، وأفضل تأكيد ، على قوة المنهج التحليلى النقدى ، فى دراسة مشكلات عصر المعلومات ، إذ باستخدام هذا المنهج ، يمكن عن طريق العمليتين المتلازمتين والمتكاملتين أنياً ، أعنى التحليل والنقد ، استخلاص المهم والمفيد من المعرفة ، كذا تفعيل دور المعرفة ، واستخدامها فى موقعها الصحيح والمناسب ، وخاصة أن المعرفة ليست مثل المعلومات ، فهى الدلالات والمعانى ، التى يتحصل عليها الفرد من المعلومات. إن إستخدام الفرد لمنهج التحليل النقدى ، فى دراسة أية ظاهرة ، يساعده فى وضع المعلومات فى مكانها الملائم فى قاعدة المعرفة Knowledge.

فعلى سبيل المثال ، يقدم لنا الإنترنت كماً هائلاً من البيانات ، التى يمكن أن نستخلص منها الكثير من المعلومات. عند هذا الحد ، الأمر سهل ومقبول. ولكن عندما يكون المطلوب ربط هذه المعلومات بعضها البعض، لتشكل البنية المعرفة للفرد ، فإن الأمر يبدو صعباً للغاية ، بدون إستخدام المنهج التحليلى النقدى ، الذى عن طريقه يمكن تنشيط بصيرة الفرد ، بجميع الجوانب المختلفة للمعلومات ، التى سبق له الحصول عليها. وبذا، يكتسب الفرد خبرة وقدرة عريضتين فى الحكم على المعلومات ، ليحتفظ منها على المهم والمفيد ، فى بنيته المعرفية ، وليهمل من ذاكرته تماماً غير اللازم ، أو المغرض ، أو الذى يتسم بعدم الأمانة وعدم الصدق ، أو الذى يقوم على التدليس. (١١)

إن المعلومات المشوشة باتت الآن موجودة ، بوفرة عجيبة ، على المواقع المختلفة فى شبكات الإنترنت، وما لم يكن الفرد واعياً تماماً ولديه القدرة التحليلية ، وإمكانية النقد ، لربط الأمور بعضها البعض ، واستنتاج المفيد ، لوقع فى المحذور ،

وذلك ما يسعى إليه المغرضون. وبالطبع ، لن يستطيع الفرد عمل فلترة للمعلومات ، لفصل الغث عن الثمين ، دون الاستخدام الأمثل للمنهج التحلىلى النقدى.

المنهج التحلىلى النقدى فى مجتمعم المعرفة :

بادئ ذى بدء ، ينبغى الإشارة إلى حقىة مشرقاة مضىنة ومفجعة مؤلمة أنىاً ، وهى :

" إن كمة المعلومات التى أنتجت فى الـ ٣٠ سنة الأخيرة ، أكثر من تلك التى أنتجت فى خمسة آلاف سنة مضت. والكمة الكلىة للمطبوعات بأنواعها تتضاعف كل خمس سنوات ، وتزىد بسرعة رهىبة ، فمنذ منتصف الستىنات زادت مفردات اللغة الإنجلىزىة من ٦٥ ألف كلمة إلى ٧٠ ألف كلمة ، وشبكة الوب WWW فى الإنترنت بلغ عدد صفحاتها لوحدما ٣٢٠ مليون صفحة من المعلومات عام ١٩٩٨ ، وتزىد كل شهر أكثر من ٣٠ مليون وثىقة.

فى ٢٠ مارس عام ١٩٩٨ ، أذاعت وكالة الأشوسىتدبرس أن المدرء استقبليون فى المتوسط ١٩٠ رسالة فى الوب الواحد ، وأن تطبىقات العلم وتكنولوجيا المعلومات تزىد ١٤% كل سنة ، وتتضاعف كل خمس سنوات ونصف. وأن ما تنشره جريدة مثل نىوبورك تاىمز من معلومات خلال أسبوع واحد فقط ، ففوق متوسط ما كان يكتسبه المتعلمون فى القرن السابع عشر خلال حىة كاملة. والعالم كله يطبع أكثر من ١٠٠٠ كتاب جدىد فى الوب الواحد فى كل المجالات ، رغم كل الإدعاءات بموت الكتاب المطبوع ، وإزدهار النشر الإلكترونى على أقراص مدمجة أو عبر الإنترنت" (١٢)

الحدىث السابق مشرقاً مضىناً على أساس الكم الهائل ، المتوفر لىنا الآن ، من المعلومات. فبعء أن كان الفرد ، يقف عاجزاً أو شبه عاجز ، عندما يحاول

العثور على معلومة بعينها ، لدرجة أنه أحياناً ، يبدو لو كان يبحث عن إبرة فى كوم قش ، أصبح أمامه الآن ، سيل من المعلومات ، وعليه أن يختار منها ما يريد. وهذا

ما يجعل للحديث السابق ، وجهه السلبى ، الذى يناقض وجهه الإيجابى ، لذا فإنه يكون مفاجئاً مؤلماً ، إذ بسبب كثافة المعلومات ، وغزارة تدفقها ، باتت كالبحر عندما يهيج ، والريح عندما تزمجر. وعندما يحاول الفرد أن يقف أمام البحر أو الريح ، فإنه يبدو عاجزاً. وعلى نفس النمط ، وبنفس الدرجة ، لا يستطيع الفرد ملاحقة مستحدثات العصر العلمية ، كما يفشل فى السيطرة على جميع أركان المعلومات ، التى يحصل عليها بالفعل.

وإذا كان فقر المعلومات ، يسهم بدرجة كبيرة فى ضعف عمليات إتخاذ القرار ، فإن ثراء المعلومات بهذه الصورة المذهلة ، يجعل الفرد يقف أمامها ملتاعاً محتاراً ، بالنسبة لتحديد الطريق ، الذى يجب عليه أن يسلكه ، أو يتبعه لتحقيق أغراضه وأهدافه.

إذاً ، القضية ليست فى التجريب ، أو حتى فى دراسة الظاهرة نفسها ، وإنما فى تحديد نقطة البداية الصحيحة ، وسط هذا الخضم والزخم الرهيبين ، من المعلومات. وبالطبع ، لا تتحقق نقطة البداية الصحيحة ، دون تحليل نقدى ، لما هو متوفر بين يدى الفرد ، إذ بدون ذلك ، يمكن ببساطة شديدة ، أن يدور حول نفسه ، أو يقع فى متاهة ، لا يستطيع الخروج منها بسهولة.

وعلى صعيد آخر ، فى مجتمع المعرفة ، وفى ظل العولمة ، بات المطلوب من الفرد ، أن يكون مبتكراً للمعلومات ، وليس مجرد ناقل أمين لها. وكلما إستطاع الفرد أن يأتى بالجديد ، وبحث الحديث ، زادت قدرته ، وتفتحت قابلياته ، للتعامل الذكى ، مع تكنولوجيا المعلومات ، التى على أساسها الآن يتم تقسيم العالم ، بمعيار

التمكن من المعرفة ، وليس بمعيار متانة الإقتصاد ، أو قوة الجيش ، أو طبيعة الموقع الجغرافى ، أو .. ، أو .. إلخ ، كما كان متبعأفى العقود السبعة الأولى من القرن العشرين. (١٣)

والحقيقة ، أنه من خلال المعرفة ، يستطيع الفرد أن يصون جذوره الثقافية ، وأن يسهم فى الإنتاج المتميز ، وأن يحرص على مقومات الإنتشار والقيمة أنياً ، وأن يحافظ على الرموز الموجودة فى المجتمع ، وأن يؤمن السلوكيات الصحيحة بين الناس ، ... إلخ . ومرة أخرى ، لن يتحقق ذلك ، دون المنهج التحليلى النقدى ، الذى عن طريقه ، يستطيع عزل ما يثبت عدم صلاحيته ، لظروف الزمان والمكان ، على أن يتم هذا العزل من منطق أخلاقى ، يراعى المصلحة العامة ، بجانب مراعاة المصلحة الشخصية.

ولا نغالى القول ، إذا قلنا إننا فى أمس الحاجة حالياً ، للمنهج التحليلى النقدى ، لحماية أنفسنا من الإستتساخ الثقافى ، الذى قد نقع فيه دون أن ندرى. وبذلك ، فإننا نتفق مع ما ذهب إليه (فاروق جويده) ، الذى يرى أن دول العالم الثالث ابتلعت الطعم ، عندما قبلت ، بل أكدت ، عملية الإستتساخ الثقافى لنموذج حضارى وسلوكى وبشرى واحد ، يحاول أن يفرض هيمنته على العالم. ولذلك ، فهو يحذر من طوفان الإستتساخ الثقافى ، الذى يسعى لتحويل العالم كله ، إلى قطيع ، تحت شعار جديد ، يردده الناس ، وخاصة فى الدول النامية ، بوعى أو بدون وعى. (١٤)

وبنفس قوة التحذير الأول ، يوجد تحذير قوى آخر ، لا يقل عنه فى دلالاته ومغزاه ، وهو يرتبط بتكنولوجيا المعلومات ودورها فى التنمية. وفى هذا الصدد ، يطلق (عصام الحناوى): " صيحة تحذير حول الموقع المصرى على خريطة إنتاج وتبادل (تكنولوجيا المعلومات) ، عندما كشف فى آخر إحصاءات مصر العامة أن نسبة ٦٧,٥ % من المصريين ، فوق الـ ١٠ سنوات ، هم إما يقرؤون ويكتبون فقط

أو حاصلون على الشهادة الابتدائية ، وهو ما يعنى أنهم جميعاً خارج مجال إنتاج وتبادل هذه التكنولوجيا ، التى لا يبقى فى حيزها العام من المصريين إلا نسبة ضئيلة جداً. وهو واقع خطير ، يحتاج إلى علاج جوهريه ، المزيد من الإنفاق والبحث الإعلامى ، فى إتجاه النسبة العالمية السائدة من الدخل القومى ، وهى : ٢ - ٢,٥ % ، وعلى نحو ما يجرى فى الولايات المتحدة ، التى تحوز وحدها ٣٤% من البحوث العلمية المنشورة فى هذا المجال ، ومن ثم القدر الأكبر من إنتاج وتجارة المعلومات والاتصالات^(١٥).

إذا نظرنا إلى دلالة ومغزى صيحة التحذير السابقة ، نرى أن النسبة القليلة جداً ، المخصصة للبحوث والدراسات التربوية ، التى - مجازاً - قد لا تتعدى ٠,١ % - ٠,٢ % ، من الدخل القومى ، لا يتم صرفها فى موقعها الصحيح ، إذ إن غالبية البحوث والدراسات ، توجه جل إهتمامها ، نحو الدراسات التجريبية أو الوصفية ، دون إهتمام يذكر بتلك التى تهتم بتحليل الواقع ، الذى فى ضوئه ، يمكن أن تكون لنا رؤى مستقبلية ، ولو تحقق ذلك من عشرات سنين مضت ، ما وصل إليه حال بحوثنا إلى هذه الحالة ، التى أصبحت فى مجملها بحوث مهتره مجتره ، إذ أنها مجرد تكرار وإعادة لبحوث سبق تحقيقها من عشرات السنن. وليس أدل على ذلك من أن بعض بحوثنا التربوية ، مازالت تتمركز وتتمحور ، حول التربية العملية ، رغم إن هذا الموضوع قتل بحثاً ، من جميع جوانبه. أيضاً ، مازالت بحوثنا التجريبية ، تدور فى فلك التعليم بالإكتشاف ، وخاصة أسلوب حل المشكلة ، الذى تم رصده فى العقد الأول من القرن العشرين.

* يمكن لمن له إهتمامات خاصة بهذا الموضوع ، الرجوع إلى المصادر الرسمية ، للتأكد من النسبة المخصصة للبحوث والدراسات التربوية ، فى الجامعات والمؤسسات التربوية الأخرى ، المعنية بهذا الأمر.

خاتمة :

فى إحدى الدراسات التى قام بها (وليم عبيد) ، طلب من الباحثين ، الخروج من جلباب (بلوم). وهنا ، أطلب من الباحثين فى مجال المناهج وطرق التدريس ، الخروج من تحت عباءة المنهج التجريبي ، والمنهج الوصفي ، إذ فى كنفهما ، ظهرت بحوث مكررة ، ليس فيها جديد. وأحد السبل ، لتحقيق ذلك ، هو المنهج التحليلى النقدى ، الذى على أساسه ، يمكن دراسة القضايا العريضة ، والحصول على النتائج العميقة.

وبعامة ، إذا كنا إقترحنا المنهج التحليلى النقدى ، فهذا ليس بفرض عين ، وإنما هو مجرد إقترح ، يعكس تصوراً ، يبرز أهمية استخدام أساليب بحثية جديدة ، غير مألوفة ، أياً كانت هويتها ، غير الأسلوبين الشائعين الآن فى دراسات وبحوث الماجستير والدكتوراة ، وخاصة إن هذا الأسلوب مهم وفعال فى دراسة القضايا التربوية فى مجتمع المعرفة.

المراجع

- ١- مجدى عزيز إبراهيم ، دراسة تحليلية نقدية لتعريفات المنهج التربوى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٩ .
- ٢- _____ ، " دراسة تحليلية نقدية لمفهوم المنهج الخفى " ، مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى ، ١٩٨٩ .
- ٣- _____ ، " دراسة تحليلية نقدية للأبعاد التى يجب مراعاتها فى تحديد محتوى المنهج " ، مجلة كلية التربية بدمياط ، العدد الحادى عشر (الجزء الأول) ، ١٩٨٩ .
- ٤- _____ ، " التوافق بين مفاهيم الحدود عند (كلود رافستان) ومفهوم المنهج التربوى " ، مجلة كلية التربية بدمياط ، العدد الحادى عشر (الجزء الأول) ، ١٩٩٠ .
- ٥- زكى نجيب محمود ، موقف من الميتافيزيقا ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- ٦- _____ ، قصة عقل ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٨ .
- ٧- مجدى عزيز إبراهيم ، دراسات فى المنهج التربوى المعاصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٠ .
- ٨- _____ ، رؤى مستقبلية لتحديث منظومة التعليم ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠١ .

- ٩- _____ ، الرياضيات وإستخداماتها فى العلوم التربوية والنفسية والإجتماعية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٩.
- ١٠- أحمد محمد صالح ، " المعرفة فى عصر المعلومات " ، مجلة الهلال ، فبراير ٢٠٠١.
- ١١- مجدى عزيز إبراهيم ، الكمبيوتر والعملية التعليمية ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.
- ١٢- أحمد محمد صالح ، " أبرز معالم القرن الحادى والعشرين : ثورة المعلومات ودوار البحر " ، مجلة الهلال ، يناير ٢٠٠١.
- ١٣- مجدى عزيز إبراهيم ، المنهج التربوى العالمى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠١.
- ١٤- فاروق جويدة ، " الاستنتاج الثقافى " ، جريدة الأهرام فى ٢٥/٣/٢٠٠١.
- ١٥- جاء تحذير (عصام الحناوى) بشأن تدهور إنتاج وتبادل صناعة " تكنولوجيا المعلومات " ، فى أحد الندوات ، التى تابعها (صلاح سالم) ، ونشر ملخصاً لما دار فى هذه الندوة ، فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠١.